مجلّة جامعة عدن للعلوم الانسانيّة والاجتماعية
EJUA-HS Vol. 4 No. 1 (2023)
https://doi.org/10.47372/ejua-hs.2023.1.232
ISSN: 2708-6275

مقالة بحثية

سبل التواصل العلمي بين الحجاز واليمن والعوامل المؤثرة فيها في عصر دولة بني رسول (626-858هـ/ 1229-1454م)

هنادي عوَّاض راضي ال يزيد الحارثي*

قسم التاريخ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية

*** الباحث الممثل: هنادي عوَّاض راضي ال يزيد الحارثي؛ البريد الالكتروني: phd.hnadi@hotmail.com**

استلم في: 27 ديسمبر 2022 / قبل في: 07 يناير 2023 / نشر في: 31 مارس 2023

المُلخّص

التواصل بين الحجاز واليمن قديم بقدم التجارة وتقلبات الأوضاع المعيشية والاقتصادية في حياة الإنسان الذي يبحث عن الاستقرار المعيشي وحياة أفضل كلما اشتد به الحال، غير أن تواصل الحجاز باليمن يمتد للتواصل العلمي والثقافي؛ ولذلك كثرت الهجرة بينهما؛ لأغراض تجارية وعلمية. كما أن موقع الحجاز وقربها من اليمن جعل الترابط وثيقًا بينهما، ولموقع الحجاز الديني تعددت الحملات العسكرية للسيطرة عليها، فكان لدولة بني رسول تسع حملات عسكرية للسيطرة على الحجاز في مدة حكمهم ما بين (626-858هـ/ 1229-1454م)، وكان لهذه الحملات عوامل مؤثرة سلبية وإيجابية، فقد كشف البحث عن أهم جوانبها الإيجابية المتمثلة بإنشاء المراكز الدينية والعلمية؛ حيث كانت هذه الحملات العسكرية قد حملت معها بعضًا من العلماء وطلبة العلم، وبعد استقرار أولئك صارت الحجاز مقصدًا لرجال العلم، فمنهم من استقر بها بعد أداء فريضتي الحج والعمرة، ومنهم من قصد زيارتها لطلب العلم لبعض الوقت.

الكلمات المفتاحية: التواصل العلمي، بنو رسول، الحجاز واليمن، العوامل المؤثرة، التجارة.

المقدمة:

هذا البحث خصصته في "سبل التواصل العلمي بين الحجاز واليمن والعوامل المؤثرة فيها في عصر دولة بني رسول (626-858هـ/ 1229-1454م)"، أبحث فيه العوامل المؤثرة التي شجعت على نماء التواصل العلمي بين الحجاز واليمن وهما من أهم مناطق الجزيرة العربية وخصصت البحث في عصر دولة بني رسول لما شهدته من أحداث تجارية وعسكرية كان لها تأثير كبير في سبل التواصل العلمي بين الحجاز واليمن.

والحجاز بثقلها الديني حيث هي مقصد الحجيج حتى قبل الإسلام، وثقلها الأعظم بعد توحيد الجزيرة العربية على دين الإسلام، واليمن بثقلها التجاري القديم وثقلها البشري الذي شهد هجرات واسعة كان من نصيب الحجاز العدد الكبير من الهجرات. وإنما كان البحث في هذا العصر لما شهد فيه من صراعات وكثرة الحملات العسكرية لدولة بني رسول من أجل السيطرة وحكم الحجاز، وقد بلغت تسع حملات عسكرية، وما رافق ذلك من جوانب سلبية وإيجابية بيَّنها البحث بالتركيز على ما أحدثته من جوانب علمية تمثلت بإنشاء المراكز الدينية والعلمية، وتقديم المعونات المالية، وخدمة الحرمين الشريفين، وكسوة الكعبة المشرفة، وإسقاط المكوس والجبايات والمظالم التي كان يفرضها الحكام والأمراء على الحجاج والتجار وغيرهم، كما أن تلك الحملات حملت بعضًا من العلماء وطلبة العلم مما أسهم في التواصل العلمي بين الحجاز واليمن.

ولكل ما سبق، فقد كان تقسيم البحث على ثلاثة مباحث تتفرع بحسب تأثيرها في سبل التواصل العلمي بين الحجاز واليمن، وهي:

- المبحث الأول: الحج والعمرة. مع ما يرافقهما من قصد الالتقاء بعلماء الحجاز وغيرهم من العلماء الوافدين والمقيمين.
- المبحث الثاني: التجارة والحملات العسكرية. مع ما يصاحبه من تواصل مباشر في حركة التجار مع الشعوب، فمن مكة المكرمة انطلقت منذ العصور القديمة رحلتا الشتاء والصيف إلى شمال بلاد الحجاز وجنوبها. كما كان للحملات العسكرية تأثير إيجابي فهي تعد من سبل التواصل العلمي بين البلدين، فقد كانت تحمل بينها الشعراء، وكبار الشخصيات من مستشارين وسفراء.
- المبحث الثالث: الهجرة والمجاورون. والمقصود بالهجرة الهجرة لطلب العلم وكيف أدت إلى ازدهار العلم في الحجاز واليمن، فقد ظهرت ما تُسمَّى بـ (الهجر العلمية)، بل كانت تُبنى القرى بفعل (هجر القرى)، فالقرية هي التي يتخذها العلماء مكانًا لسكنهم ونشر العلم فيها بعيدًا عن صخب المدن. فكانت الهجرة العلمية ظاهرة فريدة لم يكن يعرفها العالم الإسلامي قبل ذلك، وهو نوع مميز من أماكن التعليم اليمنية الموطن والفكرة، ثم اتسعت لتشمل غيرها من البلدان. أما المجاورون فهم من اختاروا البقاء في مكة المكرمة والمدينة المنورة بجوار الحرمين الشريفين مع الالتزام بما تقتضيه حرمة المكان، وشرفه من التحلي بآداب الإسلام وأخلاقه.

المبحث الأول: الحـــــج والعمـــــرة:

الحج والعمرة لهما الأثر الكبير في التواصل العلمي بين الحجاز واليمن، فمكة المكرمة مهوى الأفئدة ومطمح الأنفس، ارتبطت أرضها بأداء ركن مهم من أركان الإسلام، وهو الحج، فقل أن نجد ملكًا أو عالمًا أو أديبًا إلا قصدها، وقَصَد المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي[1].

ومن منطلق قوله تعالى: ﴿وأَذِّنْ في الناسِ بالحَجِّ يأتُوكَ رِجالًا وَعَلى كلِّ ضامِرٍ يأتِيْنَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عميقٍ ۞ لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُم وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ في أيامٍ مَعْلُوماتٍ﴾[2].

فقد أسهم الحج بوصفه الركن الخامس من أركان الإسلام بموسميته في جمع المسلمين من شتى بقاع المعمورة إلى مكة المكرمة[3]، وقد أثرى الحج الحياة العلمية وكان أحد مقومات البيئة العلمية في مكة المكرمة، فالمسلمون يأتون من كل جهة ثم يتفرقون، وقد امتلأت جعباتهم بالأخبار، وذاكرتهم بالأشعار والخطب ودروس العلم، وامتلأت أذهانهم بمختلف الصور والمشاهد، وكما كانوا يأخذون كانوا يعطون؛ فالعلماء وطلبة العلم يأتون إليها من شتى بقاع الأرض، فيلتقون ببعضهم البعض، فيحدث التقارب والتفاهم واستزادة علم وامتداد لروافد المعرفة، وانتشار للأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية[4].

كما شكلت فريضة الحج مناسبة للإعلان عن آخر النتاجات العلمية، التي دونت في بعض البلاد الإسلامية، فيتعرف الناس عامة على آخر المؤلفات في مجال العلوم المختلفة، ومن ثم قيام هؤلاء العلماء بنقل هذه المستجدات إلى بلدانهم في الوقت الذي يسعى فيه البعض إلى شراء مثل هذه الكتب التي عادة ما ينقلها الحجاج إلى الحجاز ليعلن عنها هناك، أو لبيعها على الحجاج المهتمين لإدخالها إلى بلدانهم بعد موسم الحج[5].

فهذا الفقيه عبدالرحمن بن سعيد العقيبي الهمداني (ت690هـ/1291م) من علماء اليمن الذين اتصفوا بكثرة الحج والعمرة؛ والاهتمام بجمع المؤلفات المستحدثة، التي يعلن عنها سنويًا في موسم الحج، فكان له الفضل في إدخاله كتاب "العزيز شرح الوجيز"[6] إلى بلاد اليمن[7]. واستفاد منه علماء اليمن استفادة كبيرة صححوا بموجبه العديد من الأخطاء التي كانوا يقعون فيها عند إفتائهم للناس، وتدريسهم للطلاب[8].

وكان الفقيه أبوبكر بن محمد اليحيوي (ت: 709هـ/ 1309م) ممن يستغلون موسم الحج للاطلاع على كل ما هو جديد من الكتب، ونسخها وإدخالها إلى اليمن بعد موسم كل حج[9]. وكُتب ابن العربي[10] من ضمن الكتب التي نسخها[11].

كذلك نقل أخبار الموسم وأخبار مَن حج من الملوك والأمراء؛ فقد أشار الخزرجي إلى أن أحد الحجاج اليمنيين ويدعى الحاج عمر بن زريزر[12] كان يحج كل سنة، ولا يتقدمه أحد في الرجوع إلى اليمن بعد انقضاء الحج، فيصل بأخبار الموسم، وخبر من حج في تلك السنة من الملوك والأمراء وغيرهم[13].

وموسم الحج يعد من الأمور الأساسية، التي عززت العلاقات العلمية بين الحجاز واليمن نظرًا لما يوفره هذا الموسم السنوي الكبير للالتقاء بعلماء الحجاز في مكة المكرمة، وغيرهم من علماء هذه الأمة الإسلامية، والإفادة من علومهم والأخذ عنهم[14]، والجلوس معهم ومناظرتهم، ونسخ كتبهم[15].

إذ كان معظم العلماء يتجهون إلى مكة المكرمة بنية الحج مع تبييت نية الجلوس لطلب العلم أو المجاورة لبيت الله الحرام حيث أشار الخزرجي أنه "وفي كل سنة يدخل مكة المكرمة من العلماء جمع كثير، ففيهم من يجاور ويقيم وفيهم من يذهب إلى بلده"[16].

وفي الوقت نفسه كان لموسم العمرة الذي يتم على مدار العام دور كبير في زيادة العلاقات العلمية بين الحجاز واليمن، وهو ما ميزها عن موسم الحج السنوي، فقد كان العلماء خلال زياراتهم المتواصلة للحجاز لتأدية العمرة يحصلون على كل ما هو جديد من غيرهم من المعتمرين،

---

(1)- ينظر: سيد، أيمن فؤاد: **مصادر تاريخ اليمن** ، ص172.
(2)- سورة الحج/26-27.
(3)- ينظر: بركات، علي عبدالكريم: **الصلات الحضارية والفكرية**، ص101.
(4)- ينظر: الهمزاني، بندر بن محمد: **أثر السلاطين والأمراء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية**، ص440.
(5)- ينظر: هديل، طه حسين: **الصلات العلمية بين اليمن والأقطار الإسلامية**، ص288.
(6)- الجندي: **السلوك**، ج2، ص243؛ الخزرجي: **العقد الفاخر**، ج3، ص1141-1142. كتاب "العزيز شرح الوجيز" للإمام أبو القاسم عبدالكريم بن محمد القزويني (ت: 623هـ/1226م)، وهو شرح لكتاب "الوجيز" للإمام أبي حامد الغزالي (ت: 505هـ/1111م). حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله: **كشف الظنون**، ج2، ص2002.
(7)- ينظر: الجندي: **السلوك**، ج2، ص243؛ والخزرجي: **العقد الفاخر**، ج3، ص1141-1142؛ وهديل، طه حسين: **الصلات العلمية بين اليمن والأقطار الإسلامية**، ص288-289.
(8)- ينظر: هديل,طه حسين: الصلات العلمية بين اليمن والأقطار الإسلامية، ص288- 289.
(9)- ينظر: الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج1، ص 389؛ وهديل، طه حسين: الصلات العلمية بين اليمن والأقطار الإسلامية، ص288.
(10)- هو محيي الدين محمد بن علي بن العربي الطائي ولد سنة 560هـ/1164م بالأندلس، وشارك في عدة علوم وألف فيها مصنفات كثيرة، وتوفي بدمشق سنة638هـ/1240م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج23، ص48-49؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج6، ص339-340؛ عمر كحالة: **معجم المؤلفين**، ج3، ص531.
(11)- ينظر:الجندي: **السلوك**، ج2، ص120؛ والخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص389.
(12)- لم أجد له ترجمة.
(13)- ينظر: الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ج2، ص86.
(14)- ينظر: أبو جبلة، عامر جاد الله: الصلات العلمية بين الحجاز واليمن حتى عام 400هـ، ص387.
(15)- ينظر: هديل، طه حسين: **الصلات العلمية بين اليمن والأقطار الإسلامية**، ص288.
(16)- الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص259.

وبشكل متواصل خلال العام، ومن هنا فإن موسمي الحج والعمرة كانا من أهم وسائل الاتصال التي جعلت الحجاز واليمن في تواصل دائم بعضها مع بعض[17].

والمتتبع لأخبار العلماء وغيرهم من طلبة العلم، يجد أن كثيرًا منهم حرصوا على أداء فريضة الحج والعمرة لا لأداء الفريضة فحسب؛ بل ليلتقوا بعلماء الحجاز وغيرهم من العلماء الوافدين والمقيمين فيها، ولينهلوا من علمهم، والأخذ منهم والسماع عليهم، وصحبتهم للعلماء وملازمتهم، حيث شكل موسما الحج والعمرة ملتقيات ثقافية تعج بالكثير من العلماء والفقهاء القادمين من مختلف بقاع العالم الإسلامي، حيث كانوا يدرسون ويفتون ويلقون على الناس الموعظة الحسنة من القرآن الكريم والسنة النبوية[18]، ويمنحون الإجازات العلمية ويتبادلون الكتب، الأمر الذي جعل المسجد الحرام والمسجد النبوي من أقوى مراكز نشر الثقافة بين الأقطار الإسلامية مما أثرى الحياة العلمية[19].

ومن أبرز من حج واعتمر من العلماء الفقيه عفيف الدين عبدالله اليافعي (ت: 768هـ/1366م) حج وهو يبلغ من العمر أربع عشرة سنة تقريبًا، ولم تفته حجة في السنوات التي كان يرحل فيها طلبًا للعلم[20]، والفقيه سليمان بن محمد الزبير (ت: 685هـ/1286م)[21] ممن حج من علماء اليمن وذلك في سنة 672هـ/1273م[22]. والفقيه عمر بن محمد بن أحمد ابن مصباح العنسي (ت: 692هـ/1292م)، ممن اتصفوا بكثرة الحج، والتي وصلت عدد حجاته إلى ست وثلاثين حجة[23]. والفقيه محمد بن علي العكاري (ت: 701هـ/1301م) كان يدخل مكة المكرمة مُحْرِمًا للعمرة والحج[24]، والفقيه علي بن إبراهيم البجلي (ت: 715هـ/1315م) الذي أحصيت حجاته فكانت نيفًا وثلاثين حجة[25]، والفقيه عبدالله بن محمد البريهي (ت: 764هـ/1362م)[26] كان كثير الحج، ومتى أقترب من مكة المكرمة والمدينة المنورة خرج إليه فقهاء الحجاز وغيرهم من الوافدين لمقابلته والانتفاع بعلمه[27]، والشيخ علي بن محمد بن يحيى البعداني اليمني (ت: 831هـ/1427م) ممن اتصف بكثرة الاعتمار، فقد كان يعتمر في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان في كل يوم مرتين[28]. والفقيه علي بن محمد بن أبي بكر بن مفلت الجندي كان كثير الحج، فقد حج نحو أربعين حجة[29].

كما شارك العلماء في إمارة قوافل الحج والتي عرفت باسم (المحمل)، فقد أشار ابن فهد أن أمير الحج لسنة (693هـ/1293م) كان الفقيه أحمد بن موسى العجيل (ت: 690هـ/1291م)[30]، وقد عُرف عنه كثرة الحج، وكان كلما دخل مكة المكرمة أقبل عليه طلبة العلم؛ لأخذ العلم عنه[31]، ومن الفقهاء الذين شاركوا في إمارة قوافل الحج الفقيه عمر بن الأكسع[32] الذي كان كثير الحج، ويتصدى لرئاسة القافلة إلى مكة المكرمة[33]، والفقيه يوسف بن إبراهيم بن عجيل (ت: 784هـ/1382م)[34]، والفقيه محمد بن مبارك البركاني[35]، وكان لقيادة هؤلاء العلماء قوافل الحج انعكاسًا إيجابيًا في زيادة عدد الحجيج، وعدم تعرض تلك القوافل التي يقودونها لقطاع الطرق واللصوص[36]، وإلى جانب وظيفتها الدينية كان لتلك القوافل التي يقودها العلماء الأثر الكبير في تبادل العلوم والمعارف.

ولم يقتصر أداء فريضة الحج والعمرة على العلماء فقط، بل كان سلاطين بني رسول يؤدون فريضتي الحج والعمرة، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الملك المنصور عمر (ت: 647ه/1249م) أدى فريضة الحج في سنة 631هـ/1233م، ثم حجَّ في سنة 639هـ/1241م[37]، وكذلك اعتمر في رجب من سنة 635هـ/1237م[38]، كما حج ابنه الملك المظفر يوسف (ت: 694ه/1294م) في سنة 649هـ/1251م، وأيضًا سنة

(17)- ينظر: هديل، طه حسين: **الصلات العلمية بين اليمن والأقطار الإسلامية**، ص289.
(18)- ينظر: مقابلة، حسن محمود: **الرسوليون والمماليك في الحجاز**، ص122.
(19)- ينظر: الهمزاني، بندر بن محمد: **أثر السلاطين والأمراء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية**، ص441.
(20)- ينظر: السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج2، ص294-295.
(21)- هو سليمان بن محمد بن الزبير بن أحمد الجيشي الشاوري، كان فقيهًا عالمًا مشاركًا في مختلف العلوم منها القراءات واللغة والنحو والأدب، وانتفع بعلمه العديد منهم ابنا أخيه محمد وطلحة ابنا الزبير بن محمد بن الزبير، تولى القضاء في عهد الملك المنصور عمر وابنه الملك المظفر يوسف، واشتغل بالتدريس، وكتب لنفسه كتبًا كثيرة بخطه فقد كان حسن الضبط وجيد الخط. ينظر: بامخرمة: **قلادة النحر**، ج5، ص448؛ والأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج4، ص1979.
(22)- ينظر: الجزيري: **الدرر الفرائد**، ج1، ص379.
(23)- ينظر: الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص269؛ والأهدل: **تحفة الزمن**، ج1، ص485.
(24)- ينظر: الجندي: **السلوك**، ج2، ص84؛ والأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج3، ص1468.
(25)- ينظر: الخزرجي: **العقد الفاخر**، ج3، ص1341-1342.
(26)- هو عبدالله بن محمد بن عمر بن أبي بكر البريهي السكسي، صاحب قرية ذي السفال، كان فقيهًا فاضلًا ورعًا صوفيًا متفننًا في أنواع العلوم، عارفًا بالحديث والتفسير والنحو واللغة، استحسن سيرته كافة العلماء، كان مبارك التدريس وله صبر عظيم على طلبة العلم. ينظر: الخزرجي: **العقد الفاخر**، ج3، ص1268-1269.
(27)- ينظر: الخزرجي: **العقد الفاخر**، ج3، ص1268-1269.
(28)- ينظر: النجم بن فهد: **الدر الكمين**، ج 2، ص1092؛ والسخاوي: التحفة اللطيفة، ج3، ص260.
(29)- ينظر: الخزرجي: **العقد الفاخر**، ج4، ص1842؛ والأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج1، ص118.
(30)- ينظر: النجم بن فهد: **إتحاف الورى**، ج3، ص125؛ والجزيري: **الدرر الفرائد**، ج1، ص383-384.
(31)- ينظر: الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص257-258؛ والزهري، أروى: **علاقة اليمن بمكة**، ص271.
(32)- هو أبو حفص عمر الأكسع المعروف بالمعلم، من بيت علم وصلاح، وهو فقيه مشهور، كان يحج بالناس من اليمن إلى مكة المكرمة، بعد الفقيه بكر بن عمر الفرساني التغلبي المتوفى في سنة 700هـ/1300م. ينظر: الشرجي: **طبقات الخواص**، ص116-117-237.
(33)- ينظر: الجندي: **السلوك**، ج2، ص371-372؛ والأهدل: **تحفة الزمن**، ج2، ص287.
(34)- هو يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن موسى بن عجيل، من بيت علم وصلاح، خيرًا دينًا، عارفًا بالفقه معرفة تامة، كان كثير الحج والزيارة، توفي بين الحرمين الشريفين وهو عائد من زيارة رسول الله ﷺ. ينظر: الخزرجي: **العقد الفاخر**، ج4، ص2292-2293؛ والأهدل: **تحفة الزمن**، ج2، ص297؛ والشرجي: **طبقات الخواص**، ص375؛ والأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج1، ص228.
(35)- هو أبو عبدالله محمد بن مبارك البركاني، من كبار المشائخ وأرباب المناصب، كانت قافلته التي تسير من اليمن إلى مكة المكرمة لا أحد يتعرضها بسوء ومن تعرضها عوقب معجلًا، توفي بقرية خنفر من أكبر أودية أبين. ينظر: الشرجي: **طبقات الخواص**، ص313.
(36)- ينظر: الحاوي، محمد بن منصور: **الأوضاع الأمنية لحركة حجاج اليمن**، ص357.
(37)- ينظر: المقريزي: **الذهب المسبوك**، ص110؛ والجزيري: **الدرر الفرائد**، ج2، ص350-351.
(38)- ينظر: النجم بن فهد: **إتحاف الورى**، ج3، ص53.

659هـ/1260م[39]، وكذلك الملك المجاهد علي (ت: 764ه/1362م) حجَّ في سنة 742هـ/1341م، وأيضًا في سنة 752هـ/1351م[40]. وخلال أدائهم فريضة الحج والعمرة كانوا يتصدقون بالأموال، فقد كان الملك المنصور يرسل كل سنة بصدقة عظيمة إلى مكة المكرمة[41]، وأيضًا ابنه الملك المظفر الذي أقام بمكة المكرمة عشرة أيام يفرق الصدقات، حيث وصلت إلى كل بيت بمكة المكرمة[42]، وكذلك الملك المجاهد الذي تصدق بأموال كثيرة على أهل مكة المكرمة[43]، وبلا شك أن ذلك العمل يبتغى منه الأجر والثواب من الله ﷻ، كما زرع هذا العمل أثرًا طيبًا في نفوسهم وعزز العلاقات الاجتماعية وساهم في التواصل العلمي بين البلدين.

ومن أجل الحج فقد اهتم الحكام، والتجار، وغيرهم بإقامة المراكز العلمية في مكة المكرمة، والمدينة المنورة من مدارس، وأربطة وأوقفوا الأوقاف العظيمة عليها، وعلى الحرمين الشريفين.

أخيرًا يمكن القول بأن الحج والعمرة، كانا إحدى وسائل التواصل العلمي بين البلدين بشكل خاص وبقية البلاد الإسلامية بشكل عام، وهو أحد العوامل لرحيل كثير من علماء اليمن إلى بلاد الحجاز، والاستفادة من علمائه، وعلماء المسلمين الوافدين إليها من شتى بقاع الأرض.

المبحث الثاني: التجارة والحملات العسكرية:

أولًا: التجارة:

كان لموقع الحجاز واليمن دور كبير في تنشيط الحركة التجارية في منطقة شبه الجزيرة العربية، لامتدادهما مسافة طويلة على ساحل البحر الأحمر، ولاتصالهما ببلاد الشام ومصر، فقد انطلقت من مكة المكرمة منذ العصور القديمة رحلتا الشتاء والصيف إلى شمال الجزيرة وجنوبها[44]، ومنذ أقدم العصور سارت القوافل التجارية من اليمن عبر الأراضي الحجازية مارة بمكة المكرمة، وواصلت سيرها إلى مصر والشام والعراق، وتُعد مكة المكرمة من أهم المدن التجارية في الحجاز، وذلك لتوسط موقعها بين الشام واليمن مما جعلها مركزًا مهمًا للتجارة[45].

وكان من الطبيعي أن يمارس كثير من العرب التجارة لا سيما أولئك الذين تقع بلادهم قريبة من الطرق التجارية، وقد كانت التجارة وإقامة الأسواق أحد أسباب المعاش للحجازيين، وبخاصة مكة المكرمة المركز التجاري في شبه جزيرة العرب، فعكفوا على التجارة وتمادحوا بكسب المال، وأخذوا يضربون في الأرض يبتغون الرزق من هذه المهنة[46]. ومعلوم أن سوق عكاظ كان ملتقًى للشعراء والأدباء، وهو من أهم عوامل التواصل بين الحجاز واليمن وغيرها من البلدان[47].

ومن أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة بمكة المكرمة وجود المسجد الحرام، والكعبة المشرفة بها وغيرها من الأماكن المقدسة، مما جعل مئات الألوف من الحجاج والمعتمرين يقصدونها في موسم الحج والعمرة ليؤدوا مناسكهم، فنشطت حركة التجارة فيها وازدهرت، أيضًا قربها من ميناء جدة، الذي كان يستقبل العديد من المراكب التجارية، كما كانت هناك عدة طرق تجارية تربط جدة بمكة المكرمة شرقًا، وينبع شمالًا، واليمن جنوبًا، وغيرها من الطرق[48].

وفي عصر بني رسول أقامت اليمن علاقات وصلات تجارية واسعة مع غيرها من البلدان القريبة منها والبعيدة، ومن أكثر بلاد العالم ارتباطًا باليمن من الناحية التجارية هي بلاد الحجاز، حيث كانت هناك علاقات اقتصادية وثيقة بين البلدين[49]، وتعمقت الصلات بينهما في هذا الجانب بعد أن استجدت بعض التطورات الاقتصادية على المنطقة عقب تحول طريق التجارة، الذي يربط الشرق بالغرب إلى البحر الأحمر، مارًا بالموانئ اليمنية والحجازية، ومحدثًا لها خلال هذه الفترة ازدهارًا اقتصاديًا لم يسبق له مثيل[50].

وكان لإجراءات الرسوليين كبير الأثر في تنشيط التجارة وحمايتها[51]، حيث شهدت اليمن تحركات اقتصادية نشطة شملت جوانب كثيرة في هذه الحياة، ولا سيما في مجال التجارة الخارجية بعد انفتاحها على جنوب وجنوب شرق قارة آسيا، وقد عاد ذلك بالنفع على الحركة العلمية في اليمن، كما نشط التواصل العلمي لها مع بلاد الحجاز بشكل عام، ومكة المكرمة بشكل خاص، إذ أفسح المجال للطلاب الرحلة لطلب العلم بعد توفر الأموال بأيديهم، واستدعي بعض علماء الأمصار لليمن للاستفادة من خيراته، إضافة لتشجيع الثراء المادي على دعم المرافق العلمية

(39)- ينظر: المقريزي: **الذهب المسبوك**، ص114؛ والجزيري: **الدرر الفرائد**، ج2، ص351-352.
(40)- ينظر: المقريزي: **الذهب المسبوك**، ص144؛ والجزيري: **الدرر الفرائد**، ج2، ص364-365.
(41)- ينظر: النجم بن فهد: **إتحاف الورى**، ج3، ص54.
(42)- ينظر: النجم بن فهد: **إتحاف الورى**، ج3، ص70-71؛ والجزيري: **الدرر الفرائد**، ج2، ص351.
(43)- ينظر: النجم بن فهد: **إتحاف الورى**، ج3، ص221.
(44)- ينظر: الزهراني، ضيف الله وعادل غباشي: **تاريخ مكة المكرمة التجاري**، ص7؛ ومقابلة، حسن محمود: **الرسوليون والمماليك في الحجاز**، ص99.
(45)- ينظر: الشريف، فريال عبدالمجيد: **مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة**، ص95.
(46)- ينظر: الهمزاني، بندر بن محمد: أثر السلاطين والأمراء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية، ص443.
(47)- ينظر: السنيدي، صالح بن علي: **سوق عكاظ**، ص24.
(48)- ينظر: الشريف، فريال عبدالمجيد: **مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة**، ص95- 96؛ والهمزاني، بندر: **علاقات مكة المكرمة الخارجية**، ص254-255.
(49)- ينظر: غالب، قائد حميد: أحوال اليمن السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ص169؛ وبركات، علي عبدالكريم الصلات الحضارية والفكرية، ص207.
(50)- ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: **أثر مكة العلمي**، ص155.
(51)- ينظر: غالب، قائد حميد: **أحوال اليمن السياسية والاجتماعية والاقتصادية**، ص169. ولمزيد من المعلومات حول تلك الإجراءات ينظر: عبدالرحمن، محمد إسماعيل: **علاقات اليمن الخارجية في عصر الدولة الرسولية**، ص138- 139؛ والمبارك، حصة: **الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول**، ص219-223-255-258.

في البلاد، فضلًا عن زيادة عددها، ورفع كفاءة إمكاناتها المادية[52].

ولقد كان لهذا النمو الاقتصادي الذي شمل المنطقتين حينذاك أثر في زيادة العلاقات العلمية بين الحجاز واليمن[53]، حيث زاول بعض من علماء الحجاز، واليمن مهنة التجارة، وغيرهم من العلماء الوافدين الذين كانوا يترددون على بلاد الحجاز واليمن[54].

وقد قامت الأسواق التجارية بدور بارز في النمو الاقتصادي لمنطقة الحجاز بشكل عام، ومكة المكرمة والمدينة المنورة بشكل خاص، خصوصًا وأن الحج أتاح لهما وضعًا اقتصاديًا فريدًا، فكان فرصة للتبادل التجاري بين الحجاج وتجارها[55]، ولم تكن هذه الأسواق مجالًا للنشاط التجاري فحسب؛ بل كانت فرصة لإقامة مجالس المفاخرة، وإنشاد الأشعار والمفاضلة بين الشعراء، وعقد حلقات السمر، ومجالس القضاء لحل المشكلات والقضايا المعقدة، وكانت فرصة لبث الأفكار وتسيير الأخبار والتعارف بين مختلف فئات المجتمع من علماء وشعراء وغيرهم[56].

من بين تلك الأسواق سوق الكتب، والذي صار مجمعًا للعلماء والأدباء، وكانت تدور بينهم مناقشات جادة عند شراء كتاب معين، كما قام بعض باعة الكتب بمساعدة وتشجيع طلاب العلم ببيعهم الكتب برأس المال[57]، وقد أشارت بعض المصادر إلى تعدد أماكن بيع وشراء الكتب في أكثر من مكان في مكة المكرمة، حيث أشار ابن بطوطة في رحلته إلى وجود مساطب[58] بالمسجد الحرام يجلس عليها النساخون[59]، كما أشارت بعض المصادر إلى أن باب السلام بمكة هو أحد الأماكن التي كان النساخون يجلسون بالقرب منه لممارسة عملهم في هذا المكان[60].

وأسهم سوق الكتب بشكل فعال ومباشر في إثراء الحركة التعليمية من خلال مرتاديه من العلماء، وطلبة العلم، وغيرهم من مبعوثي السلاطين الذين كان يرسلهم السلاطين لاقتناء كل جديد من المصنفات وبأغلى الأثمان، وأسهم أيضًا في إثراء الحركة العلمية من خلال بيع وشراء الكتب، والتي كان لها رواج كبير.

وساعد على ذلك الرواج المجاورون والقادمون للحج والعمرة والزيارة، حيث كانوا يصطحبون معهم جلَّ كتبهم، للاستفادة منها، أو إهدائها لعلماء الحرمين الشريفين، أو بيعها في سوق الكتب إذا ضاقت بهم سبل العيش[61]. وقد أدى رواج تجارة الكتب إلى أن ازدهرت حركة التأليف والوراقة والنسخ، فأصبحت الأموال ترسل إلى مكة المكرمة لشراء المؤلفات الضخمة لكبار العلماء والفقهاء في ذلك العصر[62].

وهذا الازدهار دفع عددًا من اليمنيين للقدوم إلى مكة المكرمة، والبقاء فيها مدة من الزمن للتكسب من خلال النسخ، وطلب العلم على علماء مكة والقادمين إليها[63] أمثال: أحمد بن أبي بكر الأشعري اليماني[64]، الذي كان يتكسب بالنسخ الجيد[65]، والفقيه أبو القاسم بن علي بن محمد الزبيدي (ت: 858هـ/1454م)[66].

كما ازدهرت تجارة الكتب في بلاد اليمن، واشتغل بها بعض العلماء الذين اعتمدوا عليها مصدرًا للرزق، وكثر عدد النساخ الذين يتاجرون في نسخ الكتب وبيعها، أو ينسخونها لأصحابها بأجر معلوم[67].

وقد انعكس الانتعاش الاقتصادي والتجاري، الذي شهدته البلاد وأسواقها وكثرة عدد الوافدين إليها على الناحية العمرانية؛ إذ أسهم بعض التجار ممن اهتموا بالعلم ببناء مراكز التعليم، ووقفها لطلبة العلم والمجاورين، منهم على سبيل المثال: إبراهيم بن محمد الأصبهاني (ت: 756هـ/1355م)، الذي بنى رباط الأصبهاني بمكة المكرمة، وحسن بن محمد بن قاسم اليمني (ت: 871هـ/1466م) نزيل مكة، وهو أحد التجار اليمنيين الذين قدموا إلى مكة للتجارة، وكان في غاية المعرفة بأمورها حتى أصبح كبير التجار بمكة المكرمة، وقد ولي نظارة المسجد الحرام، وقد أشار السخاوي إلى أنه كان قد استأجر رباطًا بمكة[68]، وبنى سبيلًا بداره في منى، وغيرها[69].

أخيرًا يمكن القول بأن الازدهار التجاري والنشاط الاقتصادي الذي عمّ منطقة الحجاز واليمن في تلك الفترة التاريخية – فترة الدراسة –

(52)_ ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: **أثر مكة العلمي**، ص153-154.
(53)_ ينظر: المرجع نفسه، ص155.
(54)_ ينظر: حول ذلك المرجع نفسه، ص282-283-284.
(55)_ ينظر: العبيكان، طرفة: **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة**، ص265.
(56)_ ينظر: الهمزاني، بندر بن محمد: أثر السلاطين والأمراء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية، ص445.
(57)_ ينظر: الجابري، خالد: **الحياة العلمية في الحجاز**، ص286-287.
(58)_ المساطب: جمع مَسْطبة وهي مكان مرتفع قليلًا عما حوله يُجلس عليه، ويطلق عليها الدكاك. ينظر: رزق، عاصم: **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، ص284؛ وعمر، أحمد مختار: **معجم اللغة العربية**، ج2، ص1293.
(59)_ ينظر: ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص132.
(60)_ ينظر: النجم بن فهد: **الدر الكمين**، ج1، ص683؛ والسخاوي: **الضوء اللامع**، ج3، ص107؛ والسنيدي، عبدالعزيز: **الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة المكرمة**، ص 66.
(61)_ ينظر: الجابري، خالد: **الحياة العلمية في الحجاز**، ص285.
(62)_ ينظر: الحسن، سعاد إبراهيم: **النشاط التجاري في مكة**، ص26.
(63)_ ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: **أثر مكة العلمي**، ص156.
(64)_ هو أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن موسى الأشعري اليماني، نزيل مكة المكرمة، له فضل وتميز في العربية والنظم، لم يذكر تاريخ ولادته ووفاته. ينظر: السخاوي: **الضوء اللامع**، ج1، ص250.
(65)_ ينظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص250؛ والسنيدي، عبدالعزيز: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة المكرمة، ص50.
(66)_ ينظر: النجم بن فهد: **الدر الكمين**، ج2، ص1333-1334؛ والسخاوي: **الضوء اللامع**، ج11، ص136.
(67)_ السنيدي، عبدالعزيز: **المدارس اليمنية**، ص271.
(68)_ ينظر: حول ذلك المرجع نفسه، ص91.
(69)_ ينظر: النجم بن فهد: **الدر الكمين**، ج1، ص694؛ والسخاوي: **الضوء اللامع**، ج3، ص127.

له أثر واضح في تنشيط الحركة العلمية والتواصل العلمي بين الحجاز واليمن حينذاك.

ثانيًا: الحملات العسكرية:

من الواضح أن الحملات العسكرية والاضطرابات الأمنية تؤثر سلبًا على شتى نواحي الحياة العامة إلا أنه يتخللها بعض الأثر الإيجابي، وعلى الرغم من أن الحملات العسكرية على بلاد الحجاز -خلال مدة الدراسة- أثرت على الناحية الدينية تأثيرًا سلبيًا من عدة جوانب، أهمها ما كان مرتبطًا بالناحية الأمنية، فعندما يحدث الصدام العسكري يختل الأمن، فيصعب على كثير من المسلمين أداء الشعائر الدينية؛ سواء أكان ذلك في موسم الحج، أو في غير موسم الحج[70]. إلا أنه كان لتلك الحملات العسكرية تأثير إيجابي، فهي تعد من سبل التواصل العلمي بين البلدين، فبقدوم الحملات العسكرية كانت تحمل بينها كبار الشخصيات من مستشارين وسفراء، كما فعل الملك المؤيد (ت: 721هـ/1321م) الذي بعث الفقيه محمد بن عبدالرحمن بن يحيى بن سالم (ت: 710هـ/1310م) سفيرًا إلى المدينة المنورة[71].

وقبل الحديث عن تلك الحملات لا بُدَّ من الإشارة إلى أن بلاد الحجاز، قد مرت بثلاث مراحل من الحكم: المرحلة الأولى تحت نفوذ الحكم الأيوبي[72]، والمرحلة الثانية تحت نفوذ الحكم الرسولي، والمرحلة الثالثة تحت نفوذ الحكم المملوكي[73].

وستسلط الباحثة الضوء في هذا المطلب على المرحلة الثانية، وهي الحجاز تحت نفوذ الحكم الرسولي، وعلى الحملات العسكرية التي شنها سلاطين بني رسول على بلاد الحجاز، وأسباب تلك الحملات ونتائجها، وكيف أثرت تلك الحملات على الناحية الدينية، والفكرية وعلى التواصل العلمي بين البلدين، فكانت الحملة الأولى في سنة (629هـ/1231م)، وكانت آخرها هي التاسعة في سنة (652هـ/1254م) وستكتفي الباحثة باستعراض الحملة الأولى؛ لأنها كانت مؤثرة في التواصل العلمي بين الحجاز واليمن، فيما كانت بقية الحملات أقرب لحملات الكر والفر بين بني رسول والأيوبيين[74].

الحملة العسكرية الأولى (629هـ/1231م): شكل الحجاز أرضية مشتركة للنشاط السياسي والعسكري لكل من اليمن ومصر، بدءًا بالأيوبيين قبل قيام دولة المماليك، وأصبحت المنطقة مسرحًا لصراع دار بين الأيوبيين من جهة والرسوليين من جهة أخرى[75]، فبعد وفاة المسعود الأيوبي سنة (626هـ/1228م) أعلن نائبه باليمن الملك المنصور نور الدين عمر بن رسول استقلاله باليمن، وتطلع لبسط سيطرته على بلاد الحجاز وفرض سيادته عليها، حيث جهز أول حملة عسكرية بقيادة ابن عبدان[76] والشريف راجح بن قتادة[77]، وذلك سنة (629هـ/1231م) وحاصروا أمير مكة - وقتها - طغتكين ابن الملك الكامل، وقد هرب ومن معه إلى ميناء ينبع[78]، وخطب للملك المنصور الرسولي في مكة بدلًا من الأيوبيين[79]، وبدأ عهد جديد في بلاد الحجاز تمثل في حكم بني رسول لليمن والحجاز دون الأيوبيين[80].

وهنا يمكن القول بأن هناك عدة عوامل ساعدت نور الدين عمر بن رسول للسيطرة على بلاد الحجاز، ومن ضمنها مكة المكرمة سنة 629هـ/1231م، منها درايته بأحوال مكة وأوضاعها منذ أن كان واليًا عليها من قبل الملك المسعود الأيوبي من سنة 619هـ/1222م، حتى سنة 620هـ/1223م، كما أنه ترك أثرًا حسنًا في نفوس أهل مكة في أثناء ولايته عليها[81]، ومن العوامل أيضًا انشغال الأيوبيين بالحروب الصليبية[82]، وكذلك مساعدة أشراف الحجاز للرسوليين، وتعاونهم في سبيل إخراج الأيوبيين من الحجاز[83].

وبعد أن سيطر الرسوليون على مكة المكرمة، بعث طغتكين رسولًا إلى مصر ليخبر والده الكامل بما حدث وما كان من أهل مكة المكرمة،

---

(70)- ينظر: السالمي، عبدالحفيظ: **الثورات الداخلية والحملات العسكرية**، ص389.

(71)- ولم يشير المؤرخ إلى سبب إرسال الفقيه إلى المدينة المنورة. ينظر: الرسولي، الأفضل: **العطايا السنية**، ص603-604.

(72)- حرص السلطان صلاح الدين الأيوبي على ضم بلاد الحجاز واليمن للدولة الأيوبية، نظرًا لأهميتها الاستراتيجية، والدينية، والاقتصادية، فأرسل أخاه توران شاه في حملة عسكرية سنة (569هـ/1174م) ووصلت الحملة إلى الحجاز أولًا ومن ثم إلى اليمن، فلما وصل إلى مكة المكرمة دخل أميرها عيسى بن فليته في طاعته، فكان ذلك بداية النفوذ الأيوبي على بلاد الحجاز. لمزيد من المعلومات ينظر: المقريزي: **السلوك**، ج1، ص161؛ ومالكي، سليمان: **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية**، ص44-49؛ الهمزاني، بندر: **علاقات مكة المكرمة الخارجية**، ص208-210؛ ومقابلة، حسن محمود: **الرسوليون والمماليك في الحجاز**، ص22.

(73)- لمزيد من المعلومات حول الحكم المملوكي للحجاز ينظر: مقابلة، حسن محمود: **الرسوليون والمماليك في الحجاز**، ص37- 42.

(74)- لمزيد من المعلومات يُنظر: ابن حاتم: **السمط الغالي الثمن**، ص208-222-316-320؛ المقريزي: **السلوك**، ج1، ص215-217-367-370؛ العز بن فهد: **غاية المرام**، ج1،ص604-622، ابن ظهيرة: **الجامع اللطيف**، ص 311-313.

(75)- ينظر: بركات، علي عبدالكريم: **الصلات الحضارية والفكرية**، ص88.

(76)- هو من أمراء وقادة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول الذي أرسله إلى مكة المكرمة في جيش مع الشريف راجح بن قتادة لإخراج العسكر المصري. ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج8، ص171.

(77)- هو الشريف راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني، أمير مكة المكرمة تولى إمارتها أوقاتًا كثيرة، وقد حصلت بينه وبين المصريين حروب كثيرة حتى تكررت ولايته ثمان مرات، وكانت وفاته في سنة 654هـ/1256م. ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج4، ص372؛ والحسني الشريف: **جداول أمراء مكة وحكامها منذ الفتح إلى الوقت الحاضر**، ص25.

(78)- ينظر: ابن حاتم: **السمط الغالي الثمن**، ص204؛ والخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص49-50؛ والفاسي: **العقد الثمين**، ج2، ص283-284؛ المقريزي: **السلوك**، ج1، ص366؛ وابن ظهيرة: **الجامع اللطيف**، ص 310.

(79)- ينظر: مقابلة، حسن محمود: **الرسوليون والمماليك في الحجاز**، ص29.

(80)- ينظر: مالكي، سليمان: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية، ص49.

(81)- ينظر: عليان، محمد عبدالفتاح: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول باليمن، ص91؛ وجلال، آمنة: علاقة سلاطين بني رسول بالحجاز، ص58.

(82)- تطلق الحروب الصليبية على الحملات التي وجهها المسيحيون في أوربا على بلاد المسلمين في الشام ومصر وآسيا الصغرى من القرن الخامس الهجري إلى القرن السابع الهجري-الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي. ينظر: إبراهيم، حسن إبراهيم: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج4، ص230.

(83)- ينظر: الفيفي: الدولة الرسولية في اليمن، ص152-153؛ والمعلمي، محمد: **دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الدولة الرسولية**، ص79.

فما كان من الملك الكامل إلا أن جهز حملة عسكرية بقيادة الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ[84]، وذلك في شهر رمضان سنة 629هـ/1231م، حيث استطاع دخول مكة المكرمة وإخراج اليمنيين منها[85].

وتشير المصادر التاريخية إلى أن طغتكين أظهر حقده على أهل مكة لخذلانهم له، حيث قتل العديد منهم، ونهبها ثلاثة أيام وأخاف أهلها خوفًا شديدًا، فلما علم الملك الكامل بما فعل غضب عليه وعزله واستدعاه إلى مصر وأرسل إلى مكة المكرمة أميرًا غيره يقال له ابن مُجَلِّي[86]، فوصل إلى مكة المكرمة في سنة 630هـ/1232م[87].

كما أشار ابن حاتم (ت بعد سنة 702هـ/1302م) في تاريخه إلى أن الفقهاء والمجاورين بالمسجد الحرام اجتمعوا ودخلوا على ابن شيخ الشيوخ، ووعظوه، وخوفوه عقاب الله وقالوا هذا حرم الله وهؤلاء جيران بيته، وقد أسرفت في القتل، فأعطاهم الأمان[88]، وهذه الإشارة توضح الدور الإيجابي الذي قام به العلماء والمجاورون في الأوضاع السياسية، وذلك من خلال تقديم النصح والنهي عن المنكر لقادة الحملات العسكرية والأمراء، متبعين في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[89]، وقول الرسول ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ"[90].

كما توضح مدى الأثر السلبي من هذه الحملة العسكرية، والتي خلفت العديد من القتلى دون مراعاة لحرمة النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، ودون مراعاة للمكان والزمان.

ويمكن القول بأن الحملة العسكرية التاسعة سنة (652هـ/1254م) كانت آخر الحملات العسكرية، التي شنها الرسوليون للسيطرة على بلاد الحجاز بشكل عام، وعلى مكة المكرمة بشكل خاص.

ولا شك أن لتلك الحملات العسكرية الأثر السلبي، حيث لم يُراعَ في تلك الحملات العسكرية أي حرمة للمكان أو الزمان فقتل العديد من الناس، ونهبت الدور والأموال. أما بالنسبة للأثر الإيجابي لتلك الحملات العسكرية القيام بإنشاء المراكز الدينية والعلمية، وتقديم المعونات المالية، وخدمة الحرمين الشريفين، وكسوة الكعبة المشرفة، وإسقاط المكوس والجبايات والمظالم التي كان يفرضها الحكام، والأمراء على الحجاج والتجار وغيرهم، كما أن تلك الحملات لا بُدَّ أنها كانت تحمل بعضًا من العلماء وطلبة العلم مما أسهم في التواصل العلمي بين البلدين.

المبحث الثالث: الهجرة والمجاورون:

أولًا: الهجرة:

الهجرة لغة ضد الوصل. واصطلاحًا هي الخروج من أرض إلى أرض. والهجرة في الإسلام معناها الخروج من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، كالهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، وهجرة بعض الصحابة إلى أرض الحبشة[91].

ويختلف مصطلح الهجرة عند اليمنيين عن مفهومها العام، إذ تعرف (الهجرة العلمية) بأنها القرية التي تخلو من الحروب، ويهاجر إليها من رغب عن سكنى المدن ليجعلها دار إقامة له، ويتخذ منها مكانًا لنشر العلم، فلا يلبث أن تكون مقصودة لطلب العلم، تشد إليها الرحال، وتهوى إليها أفئدة العلماء وطلبة العلم[92].

وسنعرض شيئًا من التفصيل عن بداية نشأة الهجرة، والظروف التي أدت إلى ظهورها، والخصائص الفريدة التي تميزت بها (هِجَر العلم)، والعوامل التي أدت إلى ازدهار العلم فيها، وأثرها الإيجابي في دوام ازدهار العلم في اليمن بصفة خاصة، كما سنذكر هجرات بعض العلماء الذين هاجروا إلى تلك الهِجَر العلمية لطلب العلم باعتبارها هجرات داخلية، وكيف أثرت في سبل التواصل العلمي؛ حيث أشار الأكوع في معرض حديثه عن نشوء الهجرة العلمية في اليمن، بأن يقوم أحد العلماء باختيار مكان قريب من القرية، التي يسكنها ليبني له عليه منزلًا حتى ينفرد بأهله ومن معه من أهل العلم عن أصحاب القرية، بعيدًا عن مجتمعهم الصاخب بأمور الحياة الدنيا، لكي يتفرغ لأعمال العبادة ويتمكن من أداء ما يجب عليه من تعليم وإفتاءٍ وإصلاحٍ بين الناس فيعينه أهل تلك القرية بما يحتاج إليه من مساعدة لبنائه، وإقامة مسجد بجواره، ثم يتتابع البناء حوله لمن يلتحق به من العلماء وطلبة العلم، وبمن يكبر من أولاده إذا أراد أن يستقل بأهله، وتسمى (هجرة) منسوبة إلى تلك القرية المجاورة لها[93].

ولعل الصراعات السياسية والصراعات المذهبية والكوارث، كانت السبب الرئيس في ظهور وتأسيس الهجر العلمية، حيث شكلت تلك

(84)- هو الأمير فخر الدين يوسف بن محمد بن عمر بن علي الجويني، المعروف بابن شيخ الشيوخ، من أمراء مكة المكرمة، وكان وزيرًا للملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ولولده توران شاه، فقد كان ذا رأي وعقل وشجاعة وكرم، وفي سنة647هـ/1249م توفي مقتولًا. ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج7، ص496.
(85)- ينظر: الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص49؛ والمقريزي: **السلوك**، ج1، ص366؛ وابن ظهيرة: **الجامع اللطيف**، ص 311.
(86)- هو أحد أمراء الملك الكامل الأيوبي على مكة المكرمة، ولقد عين بدلًا من طغتكين وذلك لإساءته لأهل مكة المكرمة. ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج8، ص171.
(87)- ينظر: الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص50؛ والفاسي: **العقد الثمين**، ج2، ص284؛ وابن ظهيرة: **الجامع اللطيف**، ص 311.
(88)- ينظر: ابن حاتم: **السمط الغالي الثمن**، ص205.
(89)- سورة آل عمران/ 104.
(90)- مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم الحديث (49)، ج1، ص42.
(91)- ينظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص250-252؛ وعمر، أحمد مختار: **معجم اللغة العربية**، ج3، ص2326.
(92)- ينظر: الأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج1، ص5؛ ومنصور، عبدالملك: **ظاهرة الهجرة اليمنية**، ص17.
(93)- ينظر: الأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج1، ص5.

الصراعات مصدر قلق وإزعاج دائم للعلماء، مما أدى إلى نفورهم والخروج عن ديارهم وتأسيس الهجر العلمية[94].

وبخصوص الخصائص الفريدة التي تميزت بها (هِجَر العلم)، فقد اشتق من لفظ (الهجرة) التهجير؛ وهو اتفاق ذوي الشأن من رؤساء القبائل وزعماء العشائر على جعل القرية التي يأوي إليها العلماء والفضلاء وأهل الصلاح والتقوى (هجرة) بإصدارهم وثيقة تسمى (التهجير)، تتضمن تعهد أعيان القبيلة أو القبائل لسكان (الهجرة) من العلماء والفقهاء، التي تقع بين أظهرهم، بحمايتهم ورعايتهم وكفالتهم، وقد يكون التهجير لعالم بعينه، ويعلن هذا التهجير في المحافل العامة، التي يجتمع فيها القبائل كالأسواق الأسبوعية وغيرها بأن قبيلة كذا، قد جعلوا قرية كذا هجرة أرضًا وسكانًا، وذلك حينما يكون سكانها كلهم من أهل العلم، خالصة لهم، وهذا أعلى درجات التهجير، أما إذا خالطهم آخرون من غير أهل العلم، فإن التهجير في هذه الحالة يقتصر على العلماء وعلى منازلهم فقط، وحينئذ تتميز (الهجرة) عن سائر القرى الأخرى، التي يسكنها عامة الناس بحصانتها التامة، فلا يدخل الجنود بيوتها، ولا تقام في ساحتها الألعاب التي تعتمد على الطبل والمزمار، كما أن أهلها مستثنون من الانضمام للجيش الذي قد تفرضه القبيلة أو الدولة عند الحاجة إليه، ويعفون أيضًا من المغارم، وإذا لزمهم شيء من ذلك فإن القبيلة تحمله عنهم بطيبة من نفسها، وإذا مس أحدهم ضر لعدوان نزل به من غير أهل الهجرة، فإن العقوبة على المعتدي بأربعة أمثالها[95].

وبالنسبة إلى العوامل التي أدت إلى ازدهار العلم فيها، وأثرها الإيجابي في دوام ازدهار العلم في اليمن أنها كانت نائية، وبعيدة عن مسرح التنافس والنزاع على السلطة، فلم يكن يحدث لها ما كان يحدث للمدن الزاخرة بصروح ومعاهد العلم، التي كانت تتعرض لزحف جيوش المتغلبين من الحكام على من سبقهم إلى الحكم أو قام معارضًا لهم، فإذا خلت البلاد من حاكم قوي مهيمن على أمورها، فإن تلك المدن قد تتعرض لغارات القبائل المتعطشة للسلب والنهب والقتل، مما يتسبب عنه توقف مراكز العلم عن أداء مهمتها[96].

إن هذه الخصائص الفريدة والمميزات، التي تميزت بها هِجَر العلم هي التي كفلت لها الاستمرار قرونًا طويلة تؤدي مهمتها العلمية، ولا تفقد صفتها وامتيازاتها ما دام أهلها محافظين على الحد الأدنى من التزاماتها، لذلك استمرت بعض الهِجَر العلمية عدة قرون، حيث بلغ عددها نحو ثلاث مئة وسبعة وأربعين هجرة علمية[97].

وفي هذا الصدد فقد أُنشئت بعض الهِجَر العلمية خلال مدة الدراسة، أشهرها هجرة ظفير[98]، وهجرة الظهراوين[99]، وهجرة فللة[100]، وغيرها[101]. كما برز من أبنائها عدد كبير من العلماء، منهم على سبيل المثال: العلامة محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى (ت: 840هـ/1436م)[102]، والإمام أحمد بن يحيى المرتضى (ت: 840هـ/1436م)[103].

فالهجرة العلمية ظاهرة فريدة لم يكن يعرفها العالم الإسلامي قبل هذا العصر، وهو حديث عن نوع مميز من أماكن التعليم اليمنية الموطن والفكرة، فمن المعروف أن اليمن اشترك مع بقية أقطار العالم الإسلامي قاطبة في وجود معظم أنواع مراكز التعليم، ولكنه انفرد بالقرى العلمية نوعًا ما، وشذ عن البقية بوجود الهجر العلمية ووفرتها[104]، والتي كان لها أثرٌ ظاهرٌ في استمرار العلوم والآداب والمعارف الإسلامية بصفة عامة، فلم تعرف اليمن في حياتها العلمية قط فترة ركود أو جمود في إنتاجها الفكري، بل ظلت متميزة بالغزارة والإبداع في شتى ميادين المعارف؛ فأمدّت المكتبة العربية بثروة عظيمة من ذخائر المؤلفات النفيسة[105].

وما تم ذكره سابقًا يُعدُّ هجرة داخلية، أما بالنسبة للنوع الآخر من أنواع الهجرة فهي الهجرة الخارجية، وهي التي يقصد بها الهجرة خارج الإطار الذي يضم الموطن الأصلي[106].

ويمكن تقسيم مدة الهجرة إلى نوعين: هجرة مؤقتة ينوي المهاجر الإقامة مدة معينة قد تكون محددة بغرض معين يرجع بعدها المهاجر إلى موطنه الأصلي، وهجرة دائمة فيها يكون الانتقال من الموطن الأصلي إلى أرض المهجر مصحوبًا بغرض الاستقرار والاستيطان في أرض المهجر[107].

فقد هاجر العديد من علماء وطلاب العلم من بلاد اليمن إلى بلاد الحجاز رغبة في زيادة معارفهم، وقد كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة هي الخيار الأول لطالبي العلم والمعرفة، إذ يتوفر بها الجو العلمي المناسب الذي لا يمكن أنْ يجدوه في أيّ مكانٍ آخر، وفي الغالب كانت هجرات طلاب العلم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة هجرة مؤقتة إذْ يمكثون في مكة المكرمة والمدينة المنورة مدة من الزمن قد تطول أو

(94)- ينظر: الأهجري، عبدالغني: **الحياة العلمية في اليمن**، ص212- 214.
(95)- ينظر: الأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج1، ص6.
(96)- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص9.
(97)- ينظر: الأهجري، عبدالغني: **الحياة العلمية في اليمن**، ص215.
(98)- ظفير: تقع شمال مدينة حَجَّة. ينظر: المقحفي، إبراهيم: **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج1، ص975.
(99)- الظهراوين: هي بلدة تقع إلى الشمال من مدينة عَمْران بنحو 45كيلو مترًا، وعن صنعاء بمسافة 95كيلو مترًا تقريبًا شمالًا، وهي اليوم خربة ومهجورة، وسميت هجرة شظب نسبة إلى الجبل الذي تقع فيه. ينظر: الأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج3، ص1339؛ الأهجري، عبدالغني: **الحياة العلمية في اليمن**، ص216.
(100)- فللة: تقع في الشمال الغربي من صعدة، والإمام المؤيد علي هو من أسسها. ينظر: الأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج3، ص1618؛ وعبدالجبار، نضال: **الهجرة العلمية في الدولة الرسولية**، ص247.
(101)- ينظر: الأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج3، ص1313؛ وعبدالجبار، نضال: **الهجرة العلمية في الدولة الرسولية**، ص245-247.
(102)- ينظر: الشوكاني: **البدر الطالع**، ج2، ص81؛ والأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج3، ص1374؛ وعبدالجبار، نضال: **الهجرة العلمية في الدولة الرسولية**، ص247.
(103)- ينظر: الواسعي، عبدالواسع: **تاريخ اليمن**، ص44؛ وعبدالجبار، نضال: **الهجرة العلمية في الدولة الرسولية**، ص247.
(104)- ينظر: الأهجري، عبدالغني: **الحياة العلمية في اليمن**، ص209.
(105)- ينظر: الأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج1، ص8- 9.
(106)- ينظر: منصور، عبدالملك: **ظاهرة الهجرة اليمنية**، ص20.
(107)- ينظر: المرجع نفسه، ص21.

تقصر يتمكنون خلالها من الإلمام بقدرٍ كافٍ من العلم والمعارف[108].

ومن الأسباب التي شجعت هجرة العديد من اليمنيين إلى بلاد الحجاز البحث عن الأمن والاستقرار، ولمكانتها الدينية، ولقرب بلاد اليمن منها، وأيضًا لوجود العديد من أبناء اليمن بها، ولوجود المنشآت العلمية من أربطة ومدارس تابعة لسلاطين بني رسول للاستقرار فيها، وأحيانًا العمل بها، وكذلك التسامح المذهبي الذي ساد بلاد الحجاز، فقد كانت هناك مساحة من الحُرية للمذاهب والفرق الإسلامية. كل ذلك أسهم في أن تكون بلاد الحجاز بشكل عام ومكة المكرمة والمدينة المنورة بشكل خاص ملجأً ومستقرًا لكثير من اليمنيين[109].

ومن أبرز من هاجر من العلماء من اليمن إلى الحجاز، الفقيه حسن بن محمد بن أسيد بن أسحم اليمني (ت: 727هـ/1326م) الذي توفي بمكة المكرمة[110]، وعمر بن محمد المسجدي اليمني (ت: 733هـ/1332م) الذي توفي بمكة المكرمة ودفن بها[111]، وعيسى بن عبدالله بن عبدالعزيز الحجي اليمني (ت: 740هـ/1339م) الذي توفي بوادي نخلة[112] من أعمال مكة المكرمة ودفن بها[113]، وموفق بن عبدالله اليمني البركاتي (ت: 784هـ/1382م) هاجر إلى الحجاز، وكان يتنقل بين المدينة المنورة ومكة المكرمة حتى توفي بمكة المكرمة[114]، والقاضي عبداللطيف بن محمد بن علي الزبيدي اليمني (ت: 800هـ/1397م) الذي فر إلى مكة المكرمة سنة 771هـ/1369م، خوفًا من الطواشي أهيف[115]، الذي تولى أمر المفسدين بمدينة زبيد ثم عاد إلى اليمن بطلب من الملك الأشرف الثاني، وذلك سنة 790هـ/1388م[116]، والفقيه إسماعيل بن عبدالله بن عبدالرحمن العلوي (ت: 835هـ/1431م) هاجر إلى مكة المكرمة بسبب معاملة الملك الظاهر السيئة له[117]، ويذكر أن سبب معاملة الملك الظاهر السيئة لوزيرهِ إسماعيل هو وشاية خصومه، بعد أن كان الملك الظاهر قد ولاه المهجم، والمحالب، وأظهر الوزير حنكته في إدارتها وفتح الحصون، فعملوا على إقناع الملك بأنه ما فعل ذلك إلا ليجعل تلك المناطق معاقل له، وأنه ينوي الخروج على الرسوليين[118].

ويمكن القول بأن مثل هذا الحالات النادرة، التي تعرض لها بعض من العلماء من قبل بعض سلاطين بني رسول المتأخرين لا يتناقض مع ما تم ذكره سابقًا حول إسهامات بني رسول في الناحية العلمية على مدى قرنين من الزمان، وتشجيعهم العلماء، ومصاحبتهم والتقرب منهم وتوليتهم أعلى المناصب.

وبالمقابل هاجر علماء من الحجاز إلى اليمن، فمن الأسباب التي شجعت هجرة بعض من علماء الحجاز إلى اليمن، شهرة اليمن العلمية خلال هذه الفترة، وما تميزت به من تبجيل وإكرام للفقهاء القادمين إليها، كان ذلك عامل جذب لهم إلى دخول بلاد اليمن واستقرارهم فيها، رغبة في الاستزادة العلمية[119]، وللبحث عن الأمن والاستقرار، فقد كانت مكة المكرمة تمر بفترات من الاضطرابات بسبب التنافس على إمرتها[120]. كل ذلك أسهم في أن تكون بلاد اليمن ملجأً ومستقرًا لعدد من الحجازيين، ومنهم الفقيه محمد بن غانم بن محمد بن عطية بن ظهيرة القرشي (ت: 790هـ/1388م) الذي هاجر إلى بلاد اليمن وتوفي بمدينة زبيد[121]، والفقيه محمد بن علي البيضاوي المكي (ت: 837هـ/1433م)، الذي هاجر إلى بلاد اليمن واستقر بها حتى توفي بمدينة زبيد[122]، وأحمد بن الفخر أبي بكر العجمي[123]، الذي هاجر إلى بلاد اليمن بزوجته أم الحسن فاطمة الطبري[124]، واستقر بها حتى توفي بمدينة عدن[125]، ومن ذلك يتضح أن الهجرة لم تقتصر على العلماء فقط دون النساء، بل هاجرت بعض النساء الحجازيات مع أزواجهن إلى بلاد اليمن، فهذه أيضًا إحدى نساء الطبريين زوجة القاضي حسان العمراني (ت:

---

(108)- ينظر: الجعيد، وداد: **الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة**، ص91.
(109)- ينظر: المرجع نفسه، ص91-119.
(110)- ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج4، ص175.
(111)- ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص362.
(112)- وادي نخلة: هما نخلتان نخلة الشامية ونخلة اليمانية، من أكبر أودية الحجاز وأحد روافد مر الظهران "وادي فاطمة"، ونخلة اليمانية هي على طريق الطائف السيل، ويُعرف طريقها باسم طريق اليمانية، أما نخلة الشامية هي من الجهة الشرقية لجبل الحبلة الضخم ومن الجهات الغربية لجبل الغمير المشرف على الطائف من الغرب ويسمى الوادي هناك وادي الغديرين، ثم وادي محرم، ثم وادي قرن إلى بلدة السيل الكبير، ثم بعجا، ثم حراض، فإذا أتاها وادي الزرقاء من الشرق سمي وادي المضيق، أو وادي الليمون لاشتهارها بإنتاج الليمون، ثم يجتمع بنخلة اليمانية، فيسمى وادي الزّبارة. ولم يشير المؤرخ الفاسي إلى أي منهما. ينظر: الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص277؛ والبلادي، عاتق: **معالم مكة التاريخية**، ص299-300؛ و**معجم معالم الحجاز**، ج9، ص1733؛ والجعيد، وداد: **الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة**، ص41-74 هامش (4).
(113)- ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج6، ص459-460.
(114)- ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص311.
(115)- هو أبو الحزم أهيف بن عبدالله المجاهدي، كان فارسًا شجاعًا، خدم الملك المؤيد ثم ابنه المجاهد، ثم ابنه الأفضل، ثم ابنة الأشرف الثاني، وكان سفاكًا للدماء شديد العقوبة وطائش السيف، وُلي في سنة772هـ/1370م مدينة زبيد فعمرها وحصنها بالسور والأبراج ولم يزل واليًا بها حتى توفي سنة 787هـ/1385م. ينظر: بامخرمة: **قلادة النحر**، ج6، ص335.
(116)- ينظر: الخزرجي: **العقد الفاخر**، ج3، ص1181؛ والفاسي: **العقد الثمين**، ج5، ص489.
(117)- ينظر: الأهدل: **تحفة الزمن**، ج2، ص530؛ والعبادي، عبدالله: **الحياة العلمية في مدينة زبيد**، ص404.
(118)- ينظر: النجم بن فهد: **الدر الكمين**، ج1، ص262؛ والزهري، أروى: **علاقة اليمن بمكة**، ص222-223.
(119)- ينظر: الزهري، أروى: **علاقة اليمن بمكة**، ص231-232.
(120)- ينظر: الجعيد، وداد: **الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة**، ص47.
(121)- ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج2، ص252.
(122)- ينظر: النجم بن فهد: **الدر الكمين**، ج1، ص223-224.
(123)- لم أجد له ترجمة.
(124)- هي أم الحسن فاطمة بنت المحب محمد بن عبدالرحمن بن عثمان الصفي الطبري، أجاز لها في سنة 770هـ/1368م العديد من العلماء، وتزوجها أبو العباس أحمد بن الفخر أبي بكر العجمي، وذهب بها إلى عدن، وبعد وفاته قدمت إلى مكة المكرمة، وتزوجت بالشيخ عبدالوهاب اليافعي، وأنجبت له عائشة في سنة789هـ/1387م. ينظر: النجم بن فهد: **الدر الكمين**، ج3، ص1515-1516.
(125)- ينظر: النجم بن فهد: **الدر الكمين**، ج3، ص1516.

708هـ/1308م)[126] ذهبت مع زوجها إلى بلاد اليمن، واستقرت بها حتى توفي زوجها، ثم عادت هي وابنها إلى أهلها بمكة المكرمة، ونشأ بينهم نشأة صالحة وتفقه حتى كبر وعاد إلى بلاد اليمن في سنة 723هـ/1323م[127].

وأخيرًا يمكن القول بأن الهجرة سواء أكانت داخلية أو خارجية، أو لأي سبب من الأسباب كانت، تُعد إحدى سبل التواصل العلمي التي من خلالها يتم تبادل العلوم والمعارف بين البلدين.

ثانيًا: المجاورون.

المجاورة: جاوره مجاورة، وجوار أي ساكنه ولاصقه في المسكن، واستجاره من فلان فأجاره منه، ويشير ابن منظور إلى أن المجاورة بمكة المكرمة والمدينة المنورة يراد بها المقام مطلقًا غير ملتزم بشروط الاعتكاف الشرعي[128]؛ أي البقاء في مكة المكرمة والمدينة المنورة بجوار الحرمين الشريفين حسبما يشاء المجاور، ويباشر حياته اليومية العادية دون مانع، ولا شروط وأحكام شرعية معينة، وإنما عليه الالتزام بما تقتضيه حرمة المكان وشرفه من التحلي بآداب الإسلام وأخلاقه[129].

وتمتد المجاورة وتقصر حسب رغبة المجاور ودوافعه[130]، وأهدافه، والظروف المحيطة به[131]، وتنتهي المجاورة بخروجه من هاتين المدينتين أو بالوفاة[132].

وقد عرفت المجاورة منذ ظهور الإسلام، وذلك استنادًا على ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من آيات وأحاديث عن المكانة الدينية لمكة المكرمة والمدينة المنورة[133]، ومع ذلك فقد اختلف العلماء في المجاورة، فمنهم من رأى أنها مستحبة، ومنهم من رأى عدم استحبابها خوفًا من الملل وقلة الاحترام ولمداومة الأنس بالمكان[134].

والمجاورة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة ظاهرة دينية اجتماعية، اقتضتها قدسية المكان وشرفه وفضيلته، وأملتها رغبة بعض المسلمين من مختلف الفئات قضاء فترة صفاء روحي في رحاب مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبجوار الحرمين الشريفين[135]، حتى شكل أولئك المجاورون شريحة من شرائح المجتمع الحجازي بشكل عام؛ إذ اختلطوا مع سكانها، والتحموا بالمجتمع عن طريق المصاهرة، وأصبحوا يشكلون جزءًا أساسيًا من هيكله الاجتماعي، وقد ضمت هذه الشريحة فئات مختلفة من الناس، فمنهم صغار الأمراء الذين أبعدهم السلطان، ومنهم أعيان الناس، ومنهم الزهاد، ومنهم التجار، ومنهم من وفد للاستقرار والموت بجوار الكعبة المشرفة[136].

ومنهم العلماء الذين حرصوا على المجاورة في الحرمين الشريفين لتوفر الجو العلمي بهما، حيث يتم الالتقاء بين علماء المشرق والمغرب متعددي الثقافات، والمذاهب الدينية، والعلمية، والتقاليد، ومن خلال الاجتماعات، والمناقشات، وتبادل الآراء في مختلف القضايا، فتعم الفائدة، ويتزود كل طرف بما وجده عند الآخرين، كما يجدونها فرصة مناسبة لنشر علومهم، وإبراز معارفهم عند الآخرين، ومنح إجازاتهم لطلابهم[137]، كما نتج عن المجاورة أن نشأت الصحبة، والملازمة العلمية لكبار العلماء الحجازيين وغيرهم من العلماء الوافدين.

وقد مارس المجاورون العديد من الأعمال، وتقلدوا مختلف الوظائف، ومن أهم المناصب أو الوظائف التي تقلدوها منصب القضاء في الحرمين الشريفين، نظرًا لاتساع معارفهم وغزارة علومهم، وكانت مشيخة الخُدَّام بالحرمين الشريفين من الوظائف التي عمل بها المجاورون لارتباطها بالحرمين الشريفين، كما شغل الكثير منهم وظيفة الخطابة والإمامة بالحرمين، وكذا رفع الأذان، ومنهم من ولي نظارة المدارس، التي أنشأها ملوك بني رسول في مكة المكرمة[138]، واعتلاء بعضٌ منهم ممن فرضوا تميزهم العلمي، وثقافتهم الواسعة رئاسة بعض العلوم، كالفقه والإقراء والحديث[139].

وشارك أولئك العلماء من المجاورين في التدريس بالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، فكانت تعقد مجالس ثابتة، وحلقات ودروس علمية متنوعة، وهذه الدروس العلمية الخاصة كانت قد قررت من بعض السلاطين والأمراء، ولضمان استمرارها عينوا عليها مشرفين، كما خصصوا لها الأوقاف الكافية للمدرسين والطلاب، حتى أضحى المسجد الحرام والمسجد النبوي بمثابة جامعتين استقطبتا فطاحل العلماء المسلمين

---

(126)- هو حسان بن أسعد بن محمد العمراني، كان فقيهًا نبيهًا تولى وظيفة الوزارة في سنة 694هـ/1294م واستمر على ذلك حتى نهاية عهد الملك الأشرف الأول سنة696هـ/1296م، وتوفي بمدينة عدن. ينظر: الخزرجي: **العقد الفاخر**، ج2، ص669.

(127)- ينظر: الجندي: **السلوك**، ج1، ص469-470؛ والزهري، أروى: **علاقة اليمن بمكة**، ص236.

(128)- ينظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص153-155-156.

(129)- ينظر: آل مشاري، منى: المجاورون في مكة والمدينة، ص22؛ والسنيدي، عبدالعزيز: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، ص9.

(130)- لمزيد من المعلومات حول دوافع الجوار السياسية والاقتصادية والعلمية والدينية ينظر: آل مشاري، منى: **المجاورون في مكة والمدينة**، ص34- 48؛ والسنيدي، عبدالعزيز: **المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية**، ص10- 23؛ والزهري، أروى: **علاقة اليمن بمكة**، ص219-222-223-224.

(131)- ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، ص7-8.

(132)- ينظر: آل مشاري، منى: **المجاورون في مكة والمدينة**، ص22.

(133)- ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، ص8.

(134)- ينظر: الفاسي: **شفاء الغرام**، ج1، ص137؛ و**العقد الثمين**، ج1، ص45.

(135)- ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، ص7.

(136)- ينظر: العبيكان، طرفة: **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة**، ص243-244.

(137)- ينظر: آل مشاري، منى: **المجاورون في مكة والمدينة**، ص47.

(138)- ينظر: المرجع نفسه، ص111- 115.

(139)- ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، ص39- 40.

للتدريس فيها، وجذبت الطلاب من مختلف الأقطار، ومنهم أبناء اليمن، للنهل من علومهم[140].

وتاجر بعضهم ببيع الكتب، وقد كانت تجارة الكتب رائجة في الحرمين الشريفين، وساعد على ذلك المجاورون والقادمون للزيارة والعمرة والحج، حيث كانوا يصطحبون معهم جلَّ كتبهم، للاستفادة منها، أو إهدائها لعلماء الحرمين الشريفين، أو بيعها في سوق الكتب إذا ضاقت بهم سبل العيش[141]، كما عمل بعضهم في نسخ الكتب وتجليدها أو تصحيحها في المطابع[142].

ومن أهم الأنشطة العلمية، التي مارسها المجاورون هو التصنيف وإنتاج العديد من المؤلفات في مختلف العلوم أثناء مجاورتهم للحرمين الشريفين، وكان لبعضهم الفضل في تدوين تاريخ الحجاز، وتاريخ اليمن وغيرها من البلدان، فعلى سبيل المثال: صنف تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت: 845هـ/1441م) في أثناء مجاورته بمكة المكرمة بين سنتي 839-841هـ/1435-1437م، عدة كتب منها كتاب "الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة"[143].

ولم يقتصر جهود المجاورون على التأليف، والتدريس، ونشر العلوم، ومنح الإجازات العلمية فقط، بل تعدى ذلك إلى إنشاء الأربطة والمساهمة في مراكز العلم.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن عددًا من العلماء اليمنيين جاوروا بمكة المكرمة، والمدينة المنورة منهم من عاد إلى بلاده سريعًا ولم تطل مجاورته، ومنهم من قضى فيها عدة سنوات وعاد إلى بلاده، ومنهم من جاور بمكة المكرمة والمدينة المنورة حتى توفي، وقد أسهم أولئك العلماء في إثراء الحركة التعليمية من خلال إقامتهم للدروس في بلاد الحجاز فهذا محمد بن أحمد اليحيوي اليمني (ت: 712هـ/1312م)[144]، جاور بمكة المكرمة عدة سنين[145]، وأبو الدُّرْ جوهر بن عبدالله المجاهدي الرضواني (ت: 755هـ/1353م) كان مغرمًا بالمجاورة ببيت الله الحرام، فقد سكن بمكة المكرمة مدة طويلة ثم عاد إلى اليمن[146]، ومحمد بن أبي بكر بن مسعود بن يحيى اليمني المعروف بالحبيشي (ت: بعد760هـ/1358م) المؤدب بمكة المكرمة جاور بها مدة طويلة تزيد على عشرين سنة[147]، وعفيف الدين عبدالله اليافعي (ت: 768هـ/1366م) جاور بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وكانت له حلقات علمية بالمسجد الحرام، فأخذ عنه الناس، حتى سمي بفضيل مكة[148]، وعيسى بن عبدالله المخزومي اليمني المعروف بابن الهُلَيْس (ت: 802هـ/1399م)[149]، الذي جاور بمكة المكرمة قرابة خمس عشرة سنة[150]، وأبو بكر بن عمر القرشي اليمني (ت: 815هـ/1412م)[151] جاور الحرمين الشريفين لمدة ثلاثين سنة كان في غالبها مقيمًا بمكة المكرمة، ومُؤدبًا للأطفال بالحرمين الشريفين، وممن انتفع بعلمه في أثناء مجاورته تقي الدين الفاسي، الذي قرأ عليه القرآن الكريم[152]، وأحمد بن يوسف بن عبدالرحمن الأهدل (ت: 819هـ/1416م) من بيت صلاح وعلم، جاور بمكة المكرمة حتى توفي[153].

وقدم من اليمن بعض الوراقين للمجاورة في مكة المكرمة منهم عبدالله بن عمر بن منصور الصراري الشنيني (ت: 804هـ/1401م)[154]، وأحمد بن أبي بكر البريهي (ت: 825هـ/1421م)[155].

وأيضًا كان للعلماء الوافدين على الحجاز مجاورة بمكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن ثم انتقلوا إلى اليمن بعد أن جاوروا فيها عدة سنين.

ويمكن القول بأن عدة عوامل أدت إلى زيادة عدد المجاورين في فترة الدراسة، منها تشجيع سلاطين بني رسول العلم والعلماء، وقيامهم ببناء العديد من المدارس في الحجاز على حد سواء، وكان لهذه السياسة أثر إيجابي على طلبة العلم والعلماء خاصة، من أبناء اليمن، والتي ولّدت عندهم رغبة في رفع رصيدهم المعرفي؛ فكانت الرحلة إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمجاورة فيهما خير فرصة يجدون فيها ضالتهم[156]، وكانت بمثابة وسام علمي يضاعف من مكانة العالم، ويميزه عن غيره ممن لم يرحل إليها في سبيل طلب العلم[157].

(140)- ينظر: آل مشاري، منى: **المجاورون في مكة والمدينة**، ص114-135؛ والسنيدي، عبدالعزيز: **أثر مكة العلمي**، ص142-143.
(141)- ينظر: الجابري، خالد: **الحياة العلمية في الحجاز**، ص285.
(142)- ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج6، ص57؛ والسخاوي: **الضوء اللامع**، ج1، ص250؛ وآل مشاري، منى: **المجاورون في مكة والمدينة**، ص118.
(143)- ينظر: السخاوي: **الضوء اللامع**، ج2، ص22؛ وسيد، أيمن فؤاد: **مصادر تاريخ اليمن**، ص176.
(144)- هو محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر الهزاز اليحيوي اليمني، إحدى قضاة الدولة المؤيدية، كان فقيهًا، عاقلًا، متعففًا، وكان ينوب عمه القاضي علي بن محمد بن عمر في فصل قضايا الناس ويباشر أحكامهم، فكان ذا همة عالية ومقابلة حسنة. ينظر: الرسولي، الأفضل: **العطايا السنية**، ص601؛ والخزرجي: **العقد الفاخر**، ج4، ص1798-1799.
(145)- ينظر: الرسولي، الأفضل: **العطايا السنية**، ص601؛ والفاسي: **العقد الثمين**، ج1، ص381.
(146)- ينظر: الرسولي، الأفضل: **العطايا السنية**، ص290-291.
(147)- ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج1، ص433.
(148)- ينظر: الهيلة، محمد: **التاريخ والمؤرخين بمكة**، ص67.
(149)- هو عيسى بن عبدالله القرشي المخزومي اليمني المهجمي، يلقب بالعماد، كان من أعيان التجار، ولاه الملك الأشرف الثاني إسماعيل عدن، ثم عُزل عن ذلك بعد سنين قليلة، وانتقل إلى أبيات حسين وأقام بها حتى توفي. ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج6، ص459؛ والسخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص154.
(150)- ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج6، ص459؛ وابن حجر: **إنباء الغمر**، ج2، ص124.
(151)- هو أبو بكر بن عمر بن علي القرشي اليمني، ولد سنة 748هـ/1347م، بقرية القرشية بالقرب من زبيد، وُلي مشيخة رباط ربيع، وكان له إلمام بمسائل كثيرة من العبادات وغيرها، توفي بمكة المكرمة ودفن بالمعلاة. ينظر: السخاوي: **الضوء اللامع**، ج11، ص64.
(152)- ينظر: الفاسي: **العقد الثمين**، ج8، ص17؛ والسخاوي: **الضوء اللامع**، ج11، ص64؛ والسعدي، هدى: **العلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز في عصر بني رسول**، ص143.
(153)- ينظر: ابن الحجر: **إنباء الغمر**، ج3، ص106؛ والأكوع، إسماعيل: **هجر العلم**، ج4، ص20005.
(154)- ينظر: البريهي: طبقات صلحاء اليمن، ص190-191؛ والسنيدي، عبدالعزيز: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة المكرمة، ص60.
(155)- ينظر: البريهي: طبقات صلحاء اليمن، 96؛ والسنيدي، عبدالعزيز: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة المكرمة، ص60.
(156)- ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: **المجاورون وأثرهم في الحياة العلمية**، ص19.
(157)- ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: **أثر مكة العلمي**، ص141.

كما أن المدارس التي أُنشئت كان واقفوها قد وفروا لمدرسيها، ولطلبة العلم فيها من الأوقاف والمخصصات، والخدمات، كالسكن، وغيره ما يساعد هؤلاء ويحثهم على التفرغ للعلم[158]؛ مما دفع المجاورون إلى الإقبال على طلب العلم طالما أنهم وجدوا أماكن يتعلمون بها وأماكن يعيشون فيها[159].

كما ساعد استقرار الأوضاع في الحجاز في بعض الفترات على استتباب الأمن على طرق الحج والتجارة، فكثر القادمون إلى مكة المكرمة من الحجاج والتجار بعد أن أمنوا على أنفسهم وأموالهم، وزاد عدد النزلاء والمجاورين في مكة المكرمة زيادة واضحة، ولا سيما من العلماء وطلبة العلم[160].

ومما سبق يمكن القول بأن المجاورين، لم يكونوا عنصرًا سلبيًا في المجتمع الحجازي يتلقى فقط التأثير بالمحيط الجديد الذي يعيش فيه، بل إن المجاورين كانوا يعيشون في صميم المجتمع، فيؤثرون فيه ويتأثرون به[161]، وبأن المجاورة أثرت تأثيرًا كبيرًا في جميع نواحي الحياة بشكل عام، وفي الحياة العلمية بشكل خاص، وشكلت إحدى سبل التواصل العلمي بين البلدين، وعاملًا لتبادل العلوم والمعارف ونقلها.

الخاتمة:

توصلت الباحثة إلى العديد من النتائج من أهمها ما يأتي:

- كان لموقع بلاد الحجاز بالقرب من بلاد اليمن دور كبير في إقامة صلات دائمة بين البلدين في مختلف النواحي السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية.
- شكلت فريضتا الحج والعمرة فرصة لعلماء البلدين، وغيرهم من علماء البلاد الإسلامية للالتقاء والاستفادة بعضهم من بعض، والاطلاع على ما هو جديد من كتب ونسخها وتبادلها بين البلدين
- أوضحت الدراسة أن لوظيفة قوافل الحج (المحمل) الدينية وظيفة علمية، وذلك من خلال قيادة العلماء لمحامل الحج، الذي انعكس على عملية التواصل العلمي بين البلدين.
- كان للازدهار التجاري والنشاط الاقتصادي، الذي عم بلاد الحجاز، وبلاد اليمن أثر واضح في تنشيط الحركة العلمية، والتواصل العلمي بين البلدين حينذاك، فقد زاول كثير من علماء الحجاز التجارة في اليمن كما زاول علماء اليمن التجارة في الحجاز؛ لذلك شجعوا العلماء وطلبة العلم، وبنوا لهم المساكن والأماكن العلمية.
- مدى الأثر السلبي للحملات العسكرية، التي كان من نتائجها قتل العديد من الناس دون مراعاة لحرمة النفس، التي حرم الله قتلها، ودون مراعاة لحرمة المكان والزمان.
- الأسباب أدت إلى هجرة عدد من علماء اليمن إلى بلاد الحجاز وعدد من علماء الحجاز إلى بلاد اليمن والتي من أهمها رغبتهم في الاستزادة العلمية.
- تفرُّد بلاد اليمن بنوع من أنواع الهجرة وهي "الهجرة العلمية"، التي تعد من مراكز التعليم.
- تفرُّد بلاد الحجاز بظهور طبقة مجتمعية عرفت بالمجاورين، فقد جاور أبناء اليمن بمختلف شرائحهم من سلاطين، وعلماء، ونساء، وطلاب علم، بمكة المكرمة والمدينة المنورة مما أسهموا وبشكل إيجابي في شتى مجالات الحياة، وكان لهم دور بارز في إنعاش الحياة العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

[1] **أولًا: القرآن الكريم (جل منزله وعلا).**

ثانيًا: المصادر المطبوعـــة.

[2] الأهدل، الحسين بن عبدالرحمن بن محمد (ت 855هـ/1451م).

- **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، (د.ط)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1424هـ/2004م.

[3] بامخرمة، عبدالله بن عبدالله بن أحمد (ت 937هـ/1530م).

- **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، عُنِيَ به: بوجمه بكري وخالد زواري، الطبعة الأولى، دار المنهاج، جدة، 1428هـ/2008م.

(158)- ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: **المجاورون وأثرهم في الحياة العلمية**، ص19.
(159)- ينظر: الهمزاني، بندر بن محمد: أثر السلاطين والأمراء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية، ص477.
(160)- ينظر: السنيدي، عبدالعزيز: **أثر مكة العلمي**، ص147.
(161)- ينظر: العبيكان، طرفة: **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة**، ص229.

[4] البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن (ت 904هـ/1498م).

- **طبقات صلحاء اليمن**، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، الطبعة الثانية، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ/1994م.

[5] ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (ت 779هـ/1377م).

- **رحلة ابن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"**، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1412هـ/1992م.

[6] ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت 874هـ/1470م).

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، (د.ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، نسخة مصورة عن دار الكتب، 1383هـ/1963م.

[7] ابن الجزيري، عبدالقادر بن محمد (ت 977هـ/1569م).

- **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2002م.

[8] ابن حاتم، بدر الدين محمد (ت بعد 702هـ/1302م).

- **السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك الغز باليمن**، تحقيق: ركس سمث، جامعة كمبرج، 1393هـ/1974م.

[9] ابن حجر، شهاب الدين أحمد العسقلاني (ت 852هـ/1448م).

- **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تحقيق: حسن الحبشي، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، (الجزء الثاني 1415هـ/1994م)، (الجزء الثالث 1392هـ/1972م).

[10] ابن الحسين، يحيى (ت 1100هـ/1688م).

- **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق ومراجعة: سعيد عبدالفتاح عاشور، محمد مصطفى زياده، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1388هـ/1968م.

[11] ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي (ت 944هـ/1537م).

- **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، تحقيق: محمد علي الأكوع، (د.ط)، مطبعة السعادة، القاهرة، (د.ت).

[12] ابن ظهيرة، جمال الدين محمد جار الله بن محمد (ت 986هـ/1578م).

- **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف**، الطبعة الأولى، دار احياء الكتب العربية، مصر، 1340هـ/1921م.

[13] ابن العماد، عبدالحي بن أحمد بن محمد (ت 1089هـ/1678م).

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، بيروت، 1406هـ/1986م.

[14] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م).

- **لسان العرب**، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، (د.ت).

[15] الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب (ت 732هـ/1331م).

- **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 1414هـ/1993م، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، 1416هـ/1995م.

[16] حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت 1067هـ/1656م).

- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (د.ط)، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

[17] الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1229م).

- **معجم البلدان**، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

[18] الخزرجي، علي بن الحسن (ت 812هـ/1409م).

- **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، تحقيق: محمد بسيوني عسل، (د.ط)، مطبعة الهلال، مصر، 1332هـ/1914م.

- **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن**، تحقيق: عبدالله بن قائد العبادي وآخرون، الطبعة الأولي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 2009/1430م.

[19] الرسولي، الأفضل العباس بن علي بن داود (ت 778هـ/1376م).

- **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية**، تحقيق: عبدالواحد الخامري، (د.ط)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/2004م.

[20] السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت 902هـ/1496م).

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (د.ط)، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، اعتنى به: أسعد طرابزوني الحسيني، (د.ط)، الجزء الأول والجزء الثاني 1399هـ/1979م، الجزء الثالث 1400هـ/1980م.

[21] الشرجي، أحمد بن أحمد بن عبداللطيف (ت 893هـ/1487م).

- **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص**، الطبعة الأولى، دار المناهل، بيروت، 1406هـ/1986م.

[22] الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ/1834م).

- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1348هـ/1929م.

[23] العز بن فهد، عبدالعزيز بن فهد (ت 922هـ/1516م).

- **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**، تحقيق: فهيم شلتوت، الطبعة الأولى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1406هـ/1986م.

[24] الفاسي، تقي الدين محمد (ت 832هـ/1428م).

- **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ/2008م.

- **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، (8أجزاء)، جميع الأجزاء تحقيق: فؤاد سيد، ماعدا الجزء الأول تحقيق: محمد حامد الثقفي، والجزء الثامن تحقيق: محمود محمد الطناحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م.

[25] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج (ت 261هـ/874م).

- **صحيح مسلم**، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض، 1427هـ/2006م.

[26] المقريزي، أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت 845هـ/1441م).

- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد بن عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م.

- **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1420هـ/2000م.

[27] النجم بن فهد، عمر بن محمد (ت 885هـ/1480م).

- **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، (الجزء الثالث) بتحقيق: فهيم محمد شلتوت، مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة، 1404هـ/ 1984م.

- **الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة الأولى، دار خضر، بيروت، 1421هـ/2000م.

ثالثًا: المراجـــــــــع.

[28] الأكوع، إسماعيل بن علي.

- **هجر العلم ومعاقله في اليمن**، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1416هـ/1995م.

[29] البلادي، عاتق بن غيث.

- **معالم مكة التاريخية والأثرية**، الطبعة الأولى، دار مكة، مكة، 1400هـ/1980م.

- **معجم معالم الحجاز**، الطبعة الثانية، دار مكة، مكة، 1431هـ/2010م.

[30] الجابري، خالد محسن حسان.

- **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي648-923هـ/1250-1517م**، (د.ط)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، 1426هـ/2005م.

[31] حسن، إبراهيم حسن.

- **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، الطبعة الرابعة عشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1416هـ- 1996م.

[32] الحسني الشريف، مساعد بن منصور آل عبدالله.

- **جداول أمراء مكة وحكامها منذ الفتح إلى الوقت الحاضر (8هـ-1420هـ)**، اعتنى به وقام بنشره الشريف محمد بن مساعد الحسني، الطبعة الثانية، 1422هـ- 2001م.

[33] الخطيب، مصطفى عبدالكريم.

- **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/1996م.

[34] رزق، عاصم محمد.

- **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، 1421هـ/2000م.

[35] الزهراني، ضيف الله بن يحيى، عادل محمد نور غباشي.

- **تاريخ مكة المكرمة التجاري**، الطبعة الأولى، الغرفة التجارية والصناعية، مكة المكرمة، 1418هـ/1998م.

[36] السنيدي، عبدالعزيز بن راشد.

- **المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية**، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1424هـ- 2003م.
- الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، الطبعة الأولى، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، 1426هـ- 2005م.

[37] سيد، أيمن فؤاد.

- **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي**، (د.ط)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1393هـ- ١٩٧٤م.

[38] العبيكان، طرفة عبدالعزيز.

- **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة**، (د.ط)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1416هـ/1996م.

[39] عمر، أحمد مختار.

- **معجم اللغة العربية المعاصرة**، بمساعدة فريق عمل، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ/2008م.

[40] الفقيه، حسن بن إبراهيم.

- **مدينة السِرين "الأثرية"**، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق، الرياض، 1413هـ- 1992م.

[41] الفيفي، محمد بن يحيى.

- **الدولة الرسولية في اليمن دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية**، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت،١٤٢٥ هـ- 2005م.

[42] المقحفي، إبراهيم أحمد.

- **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، (د.ط)، دار الكلمة، صنعاء،١٤٢٢هـ- 2002م.

[43] منصور، عبدالملك.

- **ظاهرة الهجرة اليمنية**، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1406هـ- 1985م.

[44] الهيلة، محمد الحبيب.

- **التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر**، الطبعة الأولى، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة، 1414هـ- 1994م.

[45] الواسعي، عبدالواسع بن يحيى.

- **تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن**، (د.ط)، المطبعة السلفية، القاهرة، 1346هـ- 1927م.

رابعًا: الرسائل العلميـــــة.

[46] آل مشاري، منى حسن محمد مقرن.

- **المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، 1409هـ- 1988م.

[47] الأهجري، عبدالغني علي علي عائض.

- **الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها(801-945هـ/1397-1538م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 1429هـ- 2008م.

[48] بركات، علي عبدالكريم محمد.

- **الصلات الحضارية والفكرية بين اليمن والبلاد الإسلامية (626-858هـ- 1229-1454م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة صنعاء، 1431هـ- 2010م.

[49] الجعيد، وداد عوض.

- **الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة خلال العهدين الأيوبي والمملوكي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1439هـ- 2018م.

[50] جلال، آمنة حسين محمد علي.

- **علاقة سلاطين بني رسول بالحجاز630-855هـ**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبدالعزيز، 1400هـ- 1980م.

[51] الحسن، سعاد إبراهيم بن محمد.

- **النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1405هـ- 1985م.

[52] الزهري، أروى عبدالله محمد.

- **علاقة اليمن بمكة في عصر الدولة الرسولية (626-858هـ- 1228-1454م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة تعز، 1435هـ- 2014م.

[53] السالمي، عبدالحفيظ بن حمدي بن حامد.

- **الثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة وأثرها على الأوضاع العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (570-923هـ- 1175-1517م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1430هـ- 2009م.

[54] السعدي، هدى مفتاح عبدالحميد.

- **العلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز في عصر دولة بني رسول (626-858هـ/1229-1454م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1417هـ- 1996م.

[55] الشريف، فريال عبدالمجيد.

- **مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة الملك عبدالعزيز، 1400-1401هـ- 1980-1981م.

[56] العبادي، عبدالله قائد حسن.

- **الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1416هـ- 1995م.

[57] عبدالرحمن، محمد إسماعيل علي.

- **علاقات اليمن الخارجية في عصر الدولة الرسولية، (626-858هـ- 1229-1454م)**، رسالة دكتوراه، جامعة جنوب الوادي، كلية

الآداب بقنا، 1431هـ- 2010م.

[58] عليان، محمد عبدالفتاح.

- **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول باليمن**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1392هـ- 1973م.

[59] غالب، قائد حميد عثمان.

- **أحوال اليمن السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل دولة بني رسول 626-858هـ- 1228-1454م**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1421هـ- 2000م.

[60] مالكي، سليمان عبدالغني.

- **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد "من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري"**، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1401هـ- 1981م.

[61] المبارك، حصة ناصر إبراهيم.

- **الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1417هـ- 1997م.

[62] المعلمي، محمد عبدالله محمد.

- **دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الدولة الرسولية (626-858هـ- 1228-1454م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صنعاء، 1430هـ/2009م.

[63] مقابلة، حسن محمود.

- **الرسوليون والمماليك في الحجاز626-858هـ- 1229-1454م**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآدب، جامعة اليرموك، الأردن، 1416هـ- 1996م.

[64] الهمزاني، بندر بن محمد بن رشيد.

- **علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم456-597هـ- 1063-1200م**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ- 1989م.

خامسًا: الدوريـــــــــات.

[65] أبو جبلة، عامر جاد الله.

- **الصلات العلمية بين الحجاز واليمن حتى عام 400هـ- 1010م**، الندوة العالمية الخامسة الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، كلية الآداب، الرياض، 1424هـ/2003م.

[66] الحاوي، محمد بن منصور.

- **الأوضاع الأمنية لحركة حجاج اليمن في عصر الدولة الرسولية**، اللقاء العلمي السنوي السادس للجمعية، الكويت، ربيع الأول 1426هـ/أبريل 2005م.

[67] السنيدي، صالح بن علي.

- **سوق عكاظ**، رسالة المعاهد العلمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد **11**، 1412ه/1992م.

[68] السنيدي، عبدالعزيز راشد.

- **المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة (570-660هـ- 1174-1261م)**، بحث مقدم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ- 2005م.

- **أثر مكة العلمي على بلاد اليمن خلال العصرين الأيوبي والمملوكي**، مجلة الدرعية، العددان الرابع والخامس والثلاثون، السنة التاسعة، جمادى الآخرة- رمضان 1427هـ- يوليو- أكتوبر 2006م.

[69] عبدالجبار، نضال.

- **الهجرة العلمية في عهد الدولة الرسولية**، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثالث، 1438هـ/2017م.

[70] هُديل، طه حسين عوض.

- **الصلات العلمية بين اليمن والأقطار الإسلامية الأخرى من القرن السابع إلى منتصف القرن التاسع الهجري/القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي**، مجلة التواصل، العدد السابع والعشرون-يوليو، 1432هـ- 2011م.

[71] الهمزاني، بندر بن محمد.

- **أثر السلاطين والأمراء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية في مكة في القرنين السابع والثامن الهجريين**، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط، العدد20، 1421هـ- 2001م.

RESEARCH ARTICLE

WAYS OF COMMUNICATION BETWEEN THE HEJAZ AND YEMEN AND THE FACTORS AFFECTING IT IN THE ERA OF THE RASULID DYNASTY (626-858H/1229-1454AD)

Hnadi Awwadh Radi Al-Yazeed Al-Harthi*

Dept. of History, College of Shari'ah Islamic Law and Islamic Studies, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia

***Corresponding author: Hnadi Awwadh Radi Al-Yazeed Al-Harthi; E-mail: phd.hnadi@hotmail.com**

Received: 27 December 2022 / Accepted 07 January 2023 / Published online: 31 March 2023

Abstract

The communication between The Hejaz and Yemen is as old as the trade and the twists of living and economic conditions in the life of man who seeks life stability and a better life when he faces life hardships, other than that, the communication between The Hejaz and Yemen extends to culture and science communication; which has attracted more immigration for trade and scientific interests. Likewise, the position of The Hejaz and its proximity to Yemen has deepened the bond between the two, and for the religious position of The Hejaz, it has faced several military campaigns. The Rasulid Dynasty has carried nine military campaigns to take control over The Hejaz during (626-858H/1454-1229AD). These campaigns had their advantages and disadvantages. This research has revealed the most important advantages, represented in the establishments of religious and scientific centers; as these campaigns have carried some of the scientists and knowledge seekers with it. After its stabilization, The Hejaz has become a destination for scientists: some of them have settled down in it after Hajj and Umrah, and some have headed for it for studies temporarily.

Keywords: Scientific communication, Rasulid Dynasty, The Hejaz and Yemen, Influential factors, Trade.

كيفية الاقتباس من هذا البحث:

الحارثي، ه. ع. ر. اي.، (2023). سبل التواصل العلمي بين الحجاز واليمن والعوامل المؤثرة فيها في عصر دولة بني رسول (626-858هـ/ 1221-4541م). مجلّة جامعة عدن الإلكترونيّة للعلوم الانسانيّة والاجتماعية، 4(1)، ص30-47.
https://doi.org/10.47372/ejua-hs.2023.1.232

حقوق النشر © 2023 من قبل المؤلفين. المرخص لها EJUA، عدن، اليمن. هذه المقالة عبارة عن مقال مفتوح الوصول يتم توزيعه بموجب شروط وأحكام ترخيص Creative Commons Attribution (CC BY-NC 4.0).